المحاضرة 03:

العنوان: النقد والأدب

أولا: الأدب والنقد.

إن الحديث عن ثنائية – الأدب والنقد– يستلزم في البداية من الناحية المنهجية التوقف عند مفهوم الأدب والنقد، ثم ا لتطرق إلى العلاقة بينهما.

1/ مفهوم الأدب: إن رصد مدلول كلمة أدب في الثقافة العربية تستدعي أن نتوقف عند مراحل تطورها ، فلقد مر م دلول كلمة – أدب – بمجموعة من المراحل وهذا حسب التطور الفكري والحضاري للأمة اعربية، ففي العصر الجاهل ي كانت مرتبطة بمعناها المادي– الدعوة إلى الطعام– وكما جاءت بمعنى أخلاقي وتقوى هذا المعنى على لسان النبي م حمد صلى الله عليه وسلم – أدبني ربي فأحسن تأديبي – ، وفي العصر الأموي شاع استعمالها، وأخذت مشتقاتها تتعد د وصارت عنوانا جديدا على التعليم الفذ والتربي الممتازة، ونشأت مهنة جديدة لجماعة من الأساتذة الممتازين الذين ي نشئون الطبقة العليا وينهضون بتعليم أبناء الخلفاء والأمراء وتسموا باسم * المؤدبين* وكانوا يدرسونهم الشعر وما يتص ل به من نسب وأيام العرب وأخبارها والمعارف الدينية والعربية، وعليه فقد دخل في مدلول كلمة – أدب – ما يلقنه الم علم المؤدب لتلاميذه، علاوة على معناها التهذيبي الخلقي، وفي العصر العباسي وللحركة العلمية والفكرية النشيطة تنوع إنتاج الكتب والتآليف المختلفة استقت كلمة أدب وتفردت بالمعنى السائد في الأذهان اليوم، وأول من قالها الخليل ب ن أحمد الفراهيدي (175هـ) وذلكفي قوله: حرفة الأدب آفة الأدباء– لأنهم كانوا يتكسبون بالتعليم ولا يؤدبون إلا ابت غاء المنالة. ومحمد بن المبرد (258هـ) يقول في صدر كتابه: هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب ما بين كلام من ثور، وشعر موصوف، ومثل سائر، موعظة بالغة..." وكذلك الجاحظ (255هـ)في البيان والتبيين يقول: أطلب الأدب فإ نه دليل على المروءة وزيادة في العقل وصاحب في الغربة وصلة في المجلس" ، وابن المقفع في رسالته – الأدب الكبي ر، والأدب الصغير–

وبقي هذا المفهوم متداول ويؤكد هذا قول المقري (986هـ، 1041هـ) "وعلم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم، وبه يتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم، ومن لا يكون فيه

أدب من علمائهم فهو غفل مستثقل، والشعر عندهم له حظ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة ولهم عليهم وظائف، والمجيدون من الشعراء منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويوقع لهم بالصلات على أقدارهم"[1]

وفي العصر الحديث ونتيجة احتكاك الدارسين والنقاد بالثقافة الغربية فقد توسعت دائرة التعريف من منطلق الدراسة ومن هذه التعاريف نذكر ما أورده الدكتور: شوقي ضيف " الكلام الإنساني البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواط ف القراء والسامعين أو في عقولهم بالإقناع سواء أكان منظوم أو منثور ... ويتمثل في كونه الذخر الإنشائي الذي جاد ت به قرائح الأفذاذ من أعلام البيان وعبروا به عن خلجات النفس وما يجيش به الوجدان، وما تترنم به العاطفة، ويسبح في الخيال، وما توحي به مظاهر الكون وأحوال المجتمع مما في تصويره غذاء للغة وإمتاع للنفس"

2/عناصر الأدب: يتركز الأدب على عناصر "فلو تأملنا الأدب لوجدنا فيه عناصر كثيرة عصية على الأطر الموضوعي ة – قريبة من الذاتية الانفعالات، العواطف، الخيال، الموسيقى...– فالطاقة الوجدانية والتخييلية هي التي تشحن نصا ما بالأدب أو الفن بتعبير أدق فتنتقي عن لغته الجفاف والآلية في التعبير" [2] ومعنى هذا أن الأدب له مكونات لا تخضع لمقاييس ولا يمكن تصنيفها، وهناك عناصر قارة فيه وهي كما يلي:

- الانفعالات والعواطف، اللغة، الخيال، الموسيقى.

وجملة القول أن العمل الأدبي *بمختلف أنواعه وأجناسه* يضمن الخلود لصاحبه " لا يهزم الموت إلا الفن والفنا نون هم الوحيدون الذين يخافهم الموت ويحسب حسابهم، فشكسبير زاره الموت من أربعمائة سنة ولكنه لم يستطع أن يصرعه بالضربة القاضية، فهاملت لا يزال حيا حتى الآن واقفا في حلبة الملاكمة يرد ضربات الموت، ولم تنته المباراة بعد، والمتنبي هاجمه الموت منذ أكثر من ألف سنة، ولكنه هرب أمام شجاعة المتنبي وصموده وكبرياء نفسه، إنني عن دما أكتب شعرا أشعر بالقوة والمناعة فالشعر... هو شهادة تأمين ضد الموت" [3]

2/ مفهوم النقد: هو عملية تحليل وتقييم الأعمال الأدبية والفنية وفق معايير معينة، تهدف إلى فهمها وتفسيرها والكش ف عن قيمتها الجمالية، ويحتاج الناقد الأدبي إلى مجموعة من المهارات والآليات التي تمكنه من إستقراء النص ومن هذه المهارات الذوق الفني: ولهذا فمن أهم الشروط الواجب توفرها في (الناقد) هو: (الذوق) فهو أهم عنصر في التج ربة النقدية لأنه هو الذي يعطيها خصوصية وتفردا من (ناقد لآخر) وقد عرفه ابن خلدون بقوله: "اعلم أن لفظ الذوق يت

[1]– المقري شهاب الدين، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، م1، المصدر السابق، ص 222.

[2]– ماجدة حمود، علاقة النقد بالإبداع الأدبي ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1997م، ص 14.

[3]جهاد فاضل : أسئلة الشعر –حوارات مع الشعراء العرب– الدار العربية للكتاب، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 362.

مداولها الموقنون بفنون البيان، ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان وقد مر تفسير البلاغة، وأنها مطابقة الكلام للمعنى م ن جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في إفادة ذلك، فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك، على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه، وسهل عليه أمر التركيب حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب، وإن سمع تركيبا غير جارٍ على ذلك المنحى مجه ونبا عنه سمعه بأدنى فكر، بل وبغير فكر"[1] ومن المؤكد أن الذوق المقصود هنا هو الذوق الفني (الجمالي) الذي يعدّ مكملا للموهبة، فيساعد في الكشف عن العيوب والمساوئ، وتبيين بؤرة الجمال في النص باعتبار أن كل نص يحيل على جوانب فنية، القدرة على المقارنة والمقاربة، التفكير النقدي، الإلمام بالظريات النقدية .

ثانيا: العلاقة بين الأدب والنقد: العلاقة بين الأدب والنقد علاقة وطيدة لأنهما يلتقيان في كثير من العناصر ولكنهما يـ حتفظان باستقلاليتهما، فالأدب لا يستغني عن النقد، كما أن النقد لا يمكن أن نجده دون نص أدبي، ومن هنا تنشأ تلـ ك الجدلية في العلاقة بين الأدب والنقد، حيث يتابع النقد خطوات الأدب، ويكون ناتجا عن نظراته الأولى فيما يصدر من أعمال أدبية.

ولكن من الثابت أن القول النقدي مختلف في جوهره عن القول الأدبي الذي يسائله ويوضحه، فهو ليس بالضرورة امتد ادا أو انعكاسا للآثار الفنية، يقول نجيب زكي محمود" إنه لا حرج على ناقد أن يعبر عن وقع الأثر الأدبي أو الفني في نفسه، تعبيرا هو بغير شك يندرج تحت مقولة الإبداع، لكن ذلك الناقد قد أخطأ في هذه الحالة حين أطلق على نفسه صفة الناقد، اللهم إلا على سبيل التجوز الذي يبعده عن دقة الوصف، وإلا فما هو الفرق من حيث الجوهر بين مبدع وقف على شاطئ النيل في ظلال مجموعة من النخيل فأحس بالنشوة لما تلقاه عن قراءته من قصائد تلك الديوان، ثم جلس ليعبر عن تلك النشوة فأجاد التعبير؟ إنه لا فرق يعتد به بين الحالتين، ولذلك فالتعبير عن النشوة هو إبداع أدبي في الحالتين إذا أاجاد الكاتب وسيلة التعبير" [2]

وهكذا فإن القول النقدي حين يغرق في الذاتية ينأى عن طبيعته، لينتقل إلى طبيعة أخرى هي الإبداع ولن نستطيع أن نفيد منه في فهم الأدب الذي ينقده، إذ يتحول هذا الأدب إلى محرض للإبداع لدى الناقد" [3]

[1]– ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ج2، ص 387.

[2]– زكي نجيب محمود، حصاد السنين، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1993، ص 296.

[3]ماجدة حمود، علاقة النقد بالإبداع الأدبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1997م ، ص 18.

وجملة القول أن الأدب والنقد نشاطان يتلازمان في التجربة المجتمعية ولكنهما لا يلتقيان من حيث طبيعتهما في لحظة التجربة الأنطولوجية، ذلك أن الأدب وهو موضوع علم النقد إبداع يقوم بذاته بينما النقد علم يقوم بغيره والغيرية هنا غيرتان: غيرية الموضوع، وغيرية المنهج" [1]

[1]- عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، ص 232.